الطب الشعبي التقليدي بين آلية الممارسة الوظيفية وتأصيل لمبدأ الهوية الثقافية
دراسة في أصول الممارسات العلاجية التقليدية في المجتمع الجزائري

Traditional folk medicine Between the mechanism of functional practice and the rooting of the principle of cultural identity
A study in the origins of traditional healing practices in Algerian society

د/ بلبشير عبد الرزاق

أستاذ محاضر أ قسم الفنون كلية الاداب واللغات جامعة ابوبكر بالقايد جامعة تلمسان الجزائر

Dr. Belbachir Abderrezek

Department of Arts, Faculty of Letters and Languages, University of Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, Algeria

belb65@hotmail.com

د/ بدير محمد

استاذ مساعد أ قسم الفنون كلية اللغات والاداب جامعة ابوبكر بالقايد تلمسان -الجزائر

Dr. Badir Mohamed

Department of Arts, Faculty of Letters and Languages, University of Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, Algeria

Aminamino22@hotmail.fr

الملخص:

تروم الدراسة إلى التعريف بالموروث الثقافي المحلي عبر الممارسات العلاجية الشعبية في الجزائر، الأمر مرهون بطبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع ومعتقدات الناس حول الأساليب التي يستخدمونها في طلب الشفاء، كون الطب الشعبي من المواضيع التي تطرق لها علماء الأنثروبولوجيا كظاهرة علمية وموروثا ثقافيا، يعيد إستحضار ما هو أسلوب علاجي تمارس فيها أشكال من العلاجات الشعبية، سواء تعلق الأمر بالعلاجات ذو الطابع المادي أو الطبيعي ذات علاقة بالطبابة الشعبية.

إن تحديد مجموعة من المتغيرات التابعة للعادات المتوارثة القديمة التي جسدت في البيئة الأنثروبولوجية لدى الإنسان، اعتبرت من الممارسات العلاجية التقليدية ذات صبغة شعبية يتداول عليها كل أفراد المجتمع، من الناحية الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وجملة من التغييرات الذي يبنى على فكر الموروث الثقافي. وعليه، يتضمن مبدأ الهوية الثقافية في معناه عددا من القيم والمعايير، وتشكل ثقافة الإنسان ومدى معرفته في عدد من المجالات المختلفة، هذا لإلمامه ووعيه بالقضايا المحيطة به في المجتمع تمثل التراث الفكري والمعرفي له.

وبناءا لما تقدم، فإن هذه الدراسة ستكون ملمة بأصول الممارسات العلاجية في بعدها التقليدي البديل، مع الوقوف على عناصر التثمين الثقافي المحلي في الجزائر وهي السياحة العلاجية وسبل التعريف بآليات الممارسة والتطوير، وهذا من خلال الترويج لخدمات تقدم إلى السائح من أجل تحقيق الأنماط المساعدة، وشاملة لمعايير الجودة في إطار الخدمات الصحية والسياحة العلاجية، كل هذا من شأنه ا أن يضفي أهمية بالغة في تحسين النشاط التوعوي وكدا الصحي لدى أفراد المجتمع عن طريق سبل ووسائل، ساعدت على اكتشاف المعالم الطبية خارج بيئة الفرد الإجتماعية، وخدمة للنشاط السياحي والمساهة الدائمة في النهوض بالقطاع السياحي في مجمله العام والجزائر في شكله الخاص.

الكلمات المفتاحية:

الطب الشعبي، الفنون الشعبية، الممارسات العلاجية، السياحة العلاجية، الأكلات الشعبية.

Abstract:

The study aims to present the local cultural heritage through popular therapeutic practices in Algeria. The question depends on the nature of the social and economic changes taking place in society and on people's beliefs about the methods they use to seek healing. The fact that folk medicine is one of the themes addressed by anthropologists as a scientific phenomenon and as a cultural heritage. To bring together what is a method of treatment in which forms of folk remedies are practiced, whether related to physical or natural treatments related to folk medicine.

The identification of a set of variables related to the old inherited habits that were embodied in the anthropological environment of man, was considered from the traditional healing practices of a popular nature that all members of society circulate, from a natural, social, cultural and economic point of view. point of view, and a set of changes based on thinking about cultural heritage. Accordingly, the principle of cultural identity includes in its meaning a number of values and norms, as well as the culture of the human being and the extent of his knowledge in a number of different fields, this is due to his knowledge and awareness of the issues surrounding him in society which represent his intellectual heritage and knowledge.

On the basis of the foregoing, this study will familiarize itself with the principles of therapeutic practices in its alternative traditional dimension, with an examination of the elements of local cultural enhancement in Algeria, which are medical tourism and the means of introducing the mechanisms of practice and development, and this through the promotion of the services provided to the tourist in order to achieve useful and comprehensive models For quality standards in the framework of health services and medical tourism, all this would give great importance to the " improving awareness and health activities among community members by methods and means that have made it possible to discover medical characteristics outside the social environment of the individual, as well as to serve the tourist activity and to contribute to the advancement of the tourism sector as a whole and Algeria in its particular form.

keywords:

Traditional Medicine, Folk art, Therapeutic practices, Medical Tourism, Popular food.

مقدمة:

تكتسي المعارف الطبية التقليدية قيمة اجتماعية وثقافية وعلمية، لتكتسي أهمية بالنسبة للعديد من الشعوب الأصلية والجماعات المحلية، وتعد مجموعة من المعارف والمهارات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصلية التي تملكها مختلف الثقافات، والتي من شأنها أن تستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية أو تشخيصها وعلاجها أو تحسين أحوال المصابيين بها، هذه الممارسات العلاجية الشعبية لها أهمية بالغة في تحسين النشاط التوعوي والصحي لدى أفراد المجتمع بوسائل ساعدت إلى حد ما في اكتشاف المعالم الطبية خارج بيئة الفرد الإجتماعية.

إذ تعد السياحة بما فيها خدمات الفنادق وخدمات المطاعم من بين الأساليب النفعية التي تساهم في النمو الإقتصادي للبلد، ومن ثم تكثيف الطلب على تحسين النشاط الطبي التقليدي الذي يضمن الصحة النفسية والجسدية للسائح والمريض، ليتزايد الاعتراف بالسياحة كمصدر رئيسي للنمو وتنمية الإستدامة عن طريق السياحة العلاجية، كسبيل مماثل للتطور الاقتصادي والاجتماعي والتثمين الثقافي، إذ لم تعد السياحة في العصر الحالي مجرد نشاط ترفيهي وتسلية للإنسان، بل تعتبر صناعة

أبعادها وأهدافها ودورها في زيادة الدخل القومي وتبادل الخبرات العلمية الفكرية في مجالات العمل والإستثمار وفي تحسين الظروف الإجتماعية والبيئية والحضارية، كما تساعد بدورها على دفعل التقارب الإقتصادي بين الدول والأمم، ووسيلة إتصال فكري واجتماعي.

وبناءا لما تقدم ذكره، **فإن معالم الإشكالية الرئيسية تتحدد وفقا للطرح التالي**: إلى أي مدى يمكن إعتبار الممارسات العلاجية التقليدية أو الطب الشعبي فنا شعبيا وموروثا ثقافيا بإمتياز؟ وهل يعطي هذا التفرد في عصرنا هذا ضرورة للحفاظ على منشأ الهوية الثقافية وتفعيل آليات الممارسات التقليدية لطب الشعبي في المجتمع الجزائري؟.

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة البحثية إلى:

١-الكشف ورصد أشكال الطب الشعبي التقليدي في الجزائر.

٢-الوقوف على أهم الممارسات العلاجية التقليدية المحلية التي تأصل لمبدأ الهوية الثقافية.

٣-تبيان مكانة السياحة العلاجية في الحفاظ على طبيعة الموروث الشعبي المحلي.

٤-الكشف عن أساليب النجاعة الفكرية والممارسات الميدانية التي من شأنها أن تعزز من التداخل المعرفي والثقافي داخل المجتمع الجزائري.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج ظاهرة اجتماعية موجودة في مجتمعنا، حيث نحاول من خلالها:

١- معرفة أشكال الطب التقليدي الشعبي.

٢- الوقوف على الممارسات الشعبية أثناء عملية المداواة لمختلف العلاجات التقليدية في المجتمع الجزائري.

٣- تسليط الضوء على السياحة العلاجية ودورها في تحسين الظرف الصحي للفرد والإقتصادي للبلد.

٤- الدور الثقافي في تنوع المعارف والموروث الشعبي المحلي

٥- إن هذا الفن الشعبي يعطي إمكانية الوصف الدقيق لعملية المعالجة بالوسائل المتاحة، لمعرفة أكثر عمقا وشمولية لأبعاد إجتماعية وثقافية مرتبطة بالإنسان.

آليات الممارسة الشعبية لفنون الطب التقليدي المحلي في الجزائر:

لعل ما يضمن السلامة الصحية للإنسان، هو من دون الشك إتخاذ الوقاية لتعزيز السلامة من المخاطر والترهلات التي تصاحبه في الحياة المهنية واليومية إلى حد سواء، بيد أن هذه التوجهات تعطي للإنسان إستحضار ثقافة علاجية معينة تداول عليها السلف إلى حد بعيد، وهو الولوج إلى إستخدام أليات العلاج الشعبي التقليدي، فيمثل مجموعة من المعتقدات الشعبية والممارسات العلاجية الطبية التي استخدمت منذ أزمنة بعيدة في كل الثقافات السالفة لمعالجة الأمراض يكون في المختص طرفا في القدرة على المعالجة والتوجيه، فالطب الشعبي التقليدي هو مجموعة من المعارف والمهارات القائمة على النظريات والخبرات الأصلية التي تمتلكها مختلف الثقافات وتناقلتها من جيل إلى جيل، وهذا بغية الحفاظ على الصحة والوقاية من مختلف الأمراض بغرض تشخيصها وعلاجها.

إلا أن العديد من الأفراد وخاصة في المجتمعات التي تستخدم الطب الشعبي بشكل متداول، يذهبون إلى عدم وجود أضرار جانبية من ممارسة الطبية الشعبية مقارنة بالطب الحديث الذي قد يسبب بإصابة الإنسان في الوقت الذي يتم فيه معالجة عضو ما في الجسم، كون أن إنتشار المعتقدات الشعبية في البيئة الإجتماعية لم يعق استخدام الطب الحديث في التطور

ووالكفاءة التكنولوجية، هذا التأثير في بنية التراث المحلي يؤكد عليه المنظر إرازموس Erasmus في ضوء نظريته عن التغيير الثقافي، في هذا السياق يشير إلى "أن التراث ليس قويا لدرجة منع الناس من البحث عن مزايا التي يجنونها من تغيير سلوكهم، وبالتالي يمكنهم أن يغييروا بعض ممارساتهم ومعتقداتهم من أجل شيء أفضل يعود عليهم بالفائدة. وإن كانت الأوضاع القائمة تحول أحيانا دون إستقبال الجيد للأفكار والعادات الجديدة، ولهذا يستمر المجتمع متمسكا بتراثه[1]" هذا يسمح لأفراد المجتمع من إضافة لبعض الممارسات الجديدة في نشاطهم الثقافي والعلاجي من أجل الإحتفاظ على أهمية التراث وتشخصيه ومن ثم تثمينه الثقافي والإجتماعي.

وبناءا على ذلك، يعد الطب الشعبي مجالا متسعا يشمل مختلف الإجراءات والممارسات الدينية والسحرية والكيميائية في الوقت نفسه، فإن الكشف عن دوافع الإشتغال في الفنون الشعبية كأحد المظاهر الثقافية والإجتماعية التي تحيط بالفرد والمجتمع، خصوصا في محاولة للإحاطة بأحد الممارسات الشعبية أو التقليدية المتوارثة منذ القدم، وهي العلاج التقليدي أو الشعبي باعتباره منطلقا لسلوك شعبي يؤدي وظائف اجتماعية وثقافية إلى حد سواء، هذا ليتيح الوقوف على أهم أشكال الطب الشعبي كالطب الشعبي الطبيعي كالكي والتجبير، والمداواة بالأعشاب الطبية والطب الشعبي الغيبي الذي يهدف في طياته إلى الولوج للمارسات الدينية والعقائدية المرتبطة بكيان الإنسان كالعلاج بالأحجبة القرآنية والحرز، وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين كمعيار شعبي يهدف إلى تفعيل كل ما هو طقسي بالضرورة.

فمن المؤكد أن ميدان الطب الشعبي المحلي أو التقليدي هو من الميادين التي تربطها صلة وثيقة بميادين أخرى تحذو حذو التخصص والممارسة كميدان التراث الشعبي، وهذا يرجع بالضرورة إلى " قسم النباتات، حيث يوجد مزيد من التفاصيل عن الإستخدامات الطبية والعلاجية لأنواع كثيرة من النباتات والتي رأينا من الأفضل معالجتمها في قسم النابانات نظرا لأن التركيز في المعالجة على إستخدام النبات كنبات، بينما يأتي إستخدامه الطبي في المحل الثاني، أو يرتبط به بصفة عرضية فقط[٢]"، بيد أن هذا التداخل المعرفي والتفاعل المتبادل بين المعتقدات السائدة بين مختلف الميادين، إنما هو بالضرورة خاصية مميزة ضمن أطر الثقافة الشعبية على الخصوص والثقافة الإنسانية على العموم.

وعلى النطاق المحلي، نجد أن هناك أشكالا للعلاج بالطب الشعبي في الجزائر ومنتشرة في باقي المناطق المتعددة عبر ضواحيها، التي تمارس فيها أشكال من العلاجات الشعبية سواء تعلق الأمر بالعلاجات ذات الطابع المادي أو الطبيعي كالكي والحجامة والتجبير، أو ما تعلق الأمر بالعلاجي الروحي عن طريق كتابة الأحجبة، وبهذا المعنى تصبح هذه الطرق تقليدية متوارثة تدفع إلى البحث في في الكشف عن محتوياتها وآليات الممارسة رغم حاجة الإنسان إليها. ومن بين الممارسات التي تندرج في نطاق العادات العلاجية الشعبية المتوارثة، نذكر:

_ العلاج بالأعشاب، العلاج بالكي، العلاج بالحجامة، العلاج بالوصفات الشعبية، الإستنتاد إلى الأولياء الصالحين والأضرحة، علاج بالحزم، العلاج بالسحر.

وعليه، يعطي المجتمع الجزائري إهتماما بالغا بأساليب ما يسمى بالطب البديل والعودة إلى ينابيع الطبيعة الخالصة لمعالجة الكثير من الأمراض التي يكاد الطب الرسمي عن العجز في تشخيص الحالات المستعصية على حد الممارسة، فلا يكاد يخلو البيت الجزائري من وجود وصفات طبية شعبية متداولة أو ما يطلق عليها بالعامية بـ' دوا العرب'، وهذا إستنادا على مكونات طبيعية في شكل نباتات لها فائدة نوعية قائمة ومتوارثة في النشاط الإعتيادي للأسلاف الماضية، فنجد ما يسمى في نطاق اللهجات العامية:

أولا: عشبة الزعتر، تستعملها العائلات الجزائرية عادة في:

_علاج السعال.

_يساعد في عملية الهضم.

_يعالج حالات الإسهال.

_ يعالج آلام الأسنان والتهابات اللثة.

_ له دور فعال في التهابات الحلق، وآلام الحنجرة، والتهابات القصبات الهوائية.

ثانيا: عشبة العرعار (العرعر الشربيني المتداول في منطقة البحر الأبيض المتوسط)، يستخدم عادة في:

_ علاج الغازات وانتفاخ البطن ويسهل عملية الهضم..

_ يعالج نزلات البرد والإنفلونزا وإلتهاب الجيوب الأنفية عبر إستخدام ما يسمى ببخور العرعر.

ثالثا: عشبة الكاليتوس (أوكالبتوس)، تستعمل هذه العشبة بغرض:

_ القدرة على تعزيز الجهاز المناعي وتعزيز الجهاز التنفسي والقضاء على الإلتهابات.

رابعا: عشبة النوخة: أو "النانوخة وهي النوخة وننوخ وناخنة وهو حار يابس في الثانية وقيل: في الثالثة، يقال له: خبز الفراعنة، والكمون الحبشي وتعرف في المغرب بالفليفلة ويسمى الكمون الملكي وستعمل كدواء معروف وفيه حرارة حراقة[٣]"، إلا أن إستعمالها في وسط المجتمع الجزائري وبمصطلح النوخة إلى حد التعبير المتداول، يكمن في التخفيف من تطبّل البطن، وعند الشعور بتقلّصات في المعدة والآلام يمكن إستخدامها.

خامسا: عشبة سنى مكي (السنا): تعتبر هذه النبتة من بين الإستعمالات التي يتخذها الإنسان في علاج الإمساك وحالة البواسير، فهي فعالة في تحضير الجهاز الهضمي وتنظيفه، وهذا لقوله ﷺ: "عليكم بالسنا، والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء، إلا السام قيل: يا رسول الله وما السأم؟ قال: الموت[٤]".

إلا أن هنالك العديد من الممارسات الأخرى الطبيعية المستعملة في الكثير من الوصفات العلاجية في الجزائر والتي تتخذ أسماء محلية متداولة ضمن نطاق اللهجات المحلية: كالحبق (الريحان)، البسباس، اليازير (إكليل الجبل)، النعناع، عين القط (البابونج النبيل)، التيزانة (أو ما يسمى بالعامية 'ما اللويزة')...وغيرها من المكونات الطبيعية التي ترافق المجتمع الجزائري في شكل البديل الطبي والشعبي لإحتياجاته الخاصة ضمن ثقافة الموروث الشعبي المحلي.

أما بخصوص أنواع العلاج الأخرى، فنجد ما يتعلق بإستخدام الكي كأحد أشكال التداوي الشعبي الشائع في الجزائر، أما الأمراض الذي يعالجها الكي فهي متنوعة في أساليب العلاج وهذا في عدد مرات الكي ومواضعه في الجسم. وتتمثل هذه الأمراض فيما يلي:

أولا: الفاجعة (الخلعة): تنجم عن "مفاجأة مفزعة بها الشخص فيصفر لونه ويفقد شهيته للأكل وتقل حركته. ويتعرض الرجال والنساء والأطفال لهذا المرض، وتختلف درجات علاجه. ويقوم المعالج بكي المريض خلف الرأس، وقد يقوم أحد الأفراد الأسرة أو الأقارب بهذه العملية في البيت بعود ثقاب مشتعل أو عقب سجارة بدون علم مريض[٥]".

ثانيا: عرق النسا (عرقلسان): يقوم "المعالج بكي المريض ما بين أبهام القدم والسبابة أو منجل يحمى لدرجة الإحمرار، ويمسك رجال بيدي المريض ورجليه لشدة المرض، كما يمكن كي المريض في هذه الحالة على جانبي الساقين من جهة الخارج، وأداة المستعملة مسمار ذو رأس مدور يحمى لدرجة الإحمرار، بدأ من كعب القدم إلى قرب الركبة[٦]".

ثالثا: داء اليرقان (بوصفاير): يتم إستخدام علاج بالكي ضرورة فعالة في استأصال هذا المرض، بحيث يكون الجسم مصفر، فيما يتطلب علاجه بكي العروق الثلاثة التي تأتي خلف الأذنين والرأس معا، وهذا في عدد من المرات المتداولة.

رابعا: الشقيقة (الصداع النصفي): يكون علاجها مقتصرا على الكي، ما يسمى بعرق الشقيقة الذي يقع خلف الأذن.

ومنه يمكن القول أن العلاج بالكي من بين أنواع الطب الشعبي تداولا في بيئة المجتمع الجزائري سواء تعلق الأمر بوصفه أحد أنواع الطب الشعبي المحلي باستخدام العلاج بالنار، أو لإستناد الطب الحديث إلى هذه التقنية لعلاج بعض الأمراض العضوية في شكلها التقني والكهربائي المتطور والحديث.

ومن بين أشكال العلاج إستنادا إلى الطب النبوي والشائع في المجتمع الجزائري، نجد العلاج بالحجامة، باعتباره طريقة شعبية "تتمثل في استخراج الدم من نواحي الجلد، وتوصف خاصة لذوي الأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج بحيث يروق ويخرج إلى سطح الجسد، الأمر الذي يسهل خروج الدم الفاسد . ولذلك يستحسن تحجيم الصبيان وذوي الأجسام الضعيفة الذي يلا يقوون على الصفد[٧]"، هذا النوع من التداوي له منافع عديدة بصحة الإنسان لدواعي استعماله، فمن منافعه: "حالات الصداع المزمن الذي فشلت معه الوسائل الأخرى، حالات آلام الروماتيزمية المختلفة خاصة آلام الرقبة والظهر والساقين، الضغط المرتفع، بعض الحالات النفسية وحالات الشلل، آلام الظهر والمفاصل والنقرس وأمراض البطن 'إمساك، عسر هضم، عدم شهية'[٨]".

السياحة العلاجية كنموذج للتثمين الثقافي المحلي في الجزائر:

من المؤكد أن السياحة العلاجية هي سياحة لإمتاع النفس والجسد للوافدين إلى هذا النوع العلاجي، فهي تعتمد على إستخدام المراكز والمستشفيات الحديثة بما فيها من تجهيزات طبية وخبرة بشرية ذات كفاءة تساهم في علاج الأفراد بغرض المعالجة عبر هذه المراكز، إلا أن السياحة العلاجية الصحية تهدف إلى إستغلال الأمثل والفعال للموارد والتسهيلات العلاجية الموجودة في البلد بفعل الطبيعة، ولو أن إرتباط السياحة العلاجية ساهم بشكل كبير في توجيه الفرد إلى خدمات فعالة وصحية، بيد أن هذا الإرتباط بصورة أو بأخرى له علاقة بالسياحات الأخرى مثل السياحة الترفيهية والثقافية، تضمن للسائح خلال فترة العلاج الرغبة دائما في التعرف على مختلف معالم البلد والمرافق التي تضمن نفسية الفرد، لتتيح له البرامج المعدة والمخصصة للعلاج عميلة تنظيم قيامه بهذه الأنواع حسب حالته الصحية.

هذا النوع من السياحة يتميز عن غيره من الأنماط الأخرى بارتفاع إراداته بهدف إنفاق من يستخدمه فضلا عن طول ومدة اقامته، ليؤدي الإهتمام "بالسياحة العلاجية médical tourisme attention إلى جعل المناطق والبلدان التي تستفيد من المواقع السياحية بها محل الجذب للخدمات الطبية جنبا إلى جنب للخدمات السياحية.. الأمر الذي يؤدي إلى نهضة بمستوى الأداء بالمؤسسات والمنشآت الصحية الطبية ومنافستها فيما بينها نحو الأفضل وبالتالي تعظيم الثقة لأهالي المنطقة في الخدمات الطبية التي تقدمها المؤسسات الصحية التي تخدمهم[٩]"، كل هذا يأتي للإهتمام بتنمية المواقع السياحية الجديدة ومختلف الخدمات الطبية التي تضمن راحة الفرد وفتح المجالات التسويقية جديدة للسياحة العلاجية، هذا النشاط السياحي يؤخذ بعدة اعتبارات من بينها:

_ جذب السائح من خلال تنشيط الخدمات والتسهيلات الصحية بالإضافة إلى تسهيلات المعتاد تقديمها كخدمات سياحية.

_ الإهتمام بالأنشطة الترفيهية والتعليمية التي يمارسها الفرد، بعيدا عن العمل والمسكن باستخدام المنتجعات السياحية العلاجية للنهوض بصحته والإبقاء على حيويته.

_ تشجيع السفر من أجل أساليب طبية إما للحصول على علاج طبي أو بغرض تقدم صحي باستخدام أساليب وقائية أو إجراء تدريبات لتحسين قوة البدن، استخدام الماء المالح للعلاج.

_ استخدام الموارد الطبيعية في الخدمات العلاجية المتمثلة في العناصر المتعددة وبالأخص المياه المعدنية والمناخ البيئي المعتدل[١٠].

ولتحقيق الاستراتيجيات السياحة العلاجية ونظم ممارستها، يجب مراعاة العنصر الضروري في العملية السياحية وهو الخدمات، إذ يجب الارتقاء بمستوى العمالة السياحية وهذا بالتدريب والتعليم السياحي وتطوير العديد من مناهج الدراسة السياحية الواجب توفيرها، وكذلك الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والإنترنت، وتوظيفها لصالح النشاط السياحي.

والجزائر من بين البلدان في منطقة البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا تسعى إلى تحقيق أهداف وإستراتيجيات السياحة العلاجية، بهدف إعطاء مساهمة للقطاع السياحي في التطوير الإقتصادي وإيجاد التكامل بين قطاع السياحة والقطاعات الأخرى، مما يعطي للمنتج السياحي الجزائري تطوير المنتجات السياحية الأخرى كالسياحة الصحراوية والثقافية والرياضية والدينية. ومن بين الإستراتيجيات السياحية التي تكفل النشاط والتثمين الثقافي المحلي، فهي كالتالي:

_ استراتيجية تنوع المنتج السياحي بحيث تهدف الدولة إلى تنويع المنتج السياحي كالسياحة الصحية والعلاجية، كسياحة الحمامات المعدنية.

_ استراتيجية تنويع الأسواق السياحية خدمة للتنمية السياحية والثقافة العلاجية في الجزائر.

_ استراتيجية التركيز على السياحة العلاجية عبر مناطق مختلفة من ربوع الجزائر.

بينما تمتاز الجزائر بنوع مهم في السياحية العلاجية التي تضمن حاجة العلاج الجسمي والنفسي للفرد، ويتمثل في السياحة العلاجية المعدنية أو السياحة الإستشفائية وهو الأكثر إنتشارا في ميدان العلاج الصحي والطبيعي، في حين تعتمد السياحة الإستشفائية على "العناصر الطبيعية في علاج المرضى وشفائهم مثل الينابيع المعدنية والكبريتية والرمال والشمس بغرض الإستشفاء من بعض الأمراض العلاجية والروماتيزمية[١١]" خدمة لصحة السائح أو المريض.

بينما تسعى مؤسسة المحطة المعدنية لحمامات بوحنيفية بولاية معسكر على سبيل المثال، إلى التسيير الفعال لتحسين المردودية السياحية والإقتصادية بالولاية والتنمية المحلية، والمحطة المعدنية لبوحنيفية أكبر الفضاءات الحموية وأبرزها تقدم خدمات صحية لزبائنها تحت أخصائيين لمعالجة الأمراض فتضمن صحة الفرد، وهذا عن طريق توفر المحطة المعدنية المعالجة بالمياه المعدنية، أما الشكل الثاني فيتمحور بالأساس حول المعالجة بالكهرباء والتدليك.

أما فيما يخص الجانب العلاجي للمرفق المعدني لحمامات المعدنية لمدينة حمام بوججر بولاية عين تموشنت، فتسعى المؤسسة علاجية للإستحمام وأحواض المياه الكهروغازية، ومرشات تعمل بنظام القذف والتدليك تحت الماء والأشعة تحت الحمراء، واستخدام الموجات فوق الصوتية، أو المعالجة بالكهرباء. وعليه، فالمياه المعدنية الغنية بالكبريت تنصح لعلاج مرضى المفاصل، الجلد والجهاز التنفسي يشرف عليها مختصون لهذا النوع الطبي.

ومن بين الوجهات السياحية العلاجية الأخرى في الجزائر، نجد كل ما يتعلق بالذهاب إلى البيئة الصحراوية وإستخدام الرمال عنصرا للممارسة العلاجية بالمنطقة، ففي درجة تفوق ٥٠ درجة مئوية، تحفر حفر صغيرة للردم وهو التداوي بالدفن في الرمال الساخنة، وتكون الطريقة ممتدة بين ١٠ إلى ١٥ دقيقة، هذا العلاج والوجهة السياحية في الجنوب لها أهمية علاجية على صحة الفرد فهي تشفي من له علاقة بأمراض القلب، وظائف الكبد، المصابين بالضغط الدم وأمراض السكري، والروماتيزم وأمراض المفاصل، كل هذا يتعارض مع العلاج بالرمال الحارة والساخنة خدمة للتثمين الثقافي والصحي للفرد والمجتمع.

ولضمان دورة الرعاية الصحية العلاجية، فتتحدد هذه الدورة في ثلاثة أنواع من الخدمات السياحية العلاجية:

_ السياحة العلاجية الوقائية: "تهدف للاستخراء وأعادة الحيوية دون معاناة من أي مرض بدون أو تحت إشراف طبي.. للأصحاء من أجل الحفاظ على صحتهم العقلية وتقليل الضغوط العصبية وتحقيق الإتزان النفسي[١٢]" هذا عن طريق ممارسة الأنشطة الرياضية وممارسة السباحة، ومن ثم وجود نظام الغذائي صحي ومتوازن مع الفحص العام بنسبة للأنشطة السياحية الإستشفائية، ومن ثم ممارسة الإجتماعية عبر نشاطاتها المختلفة كالولوج إلى المسرح والسينما، وزيارة للمواقع والآثار السياحية يضمن جو أمثل لتغيير المناخ.

_ السياحة العلاجية الطبية: الهدف منها "تقديم العلاج أو إجراء عمليات جراحية للمرضى الذين يعانون من أمراض ذات حساسية خاصة سواء التشخيص أو العلاج وبفضل المستفيدين من هذه الخدمات إجراؤها خارج موطن إقامتهم[١٣]" هذا

يضمن خدمات الفحوص والتشخيص الطبي المتقدم، ومن ثم المعالجة باستخدام وسائل العلاج الكيميائية والإشعاعية ضمن نشاط الممارسة الطبية.

_ السياحة العلاجية الإستشفائية: الغرض منها "الانتفاع بالموارد الطبيعية في الإستشفاء وإضفاء فترات النقاهة للراغبين في استعادة بنياتهم وتحسيين لياقتهم البدنية والحفاظ على الوزن بتطبيق نظام غذائي معين[١٤]" كاستخدام حمامات المياه المعدنية والكبريتية والرمال الساخنة، والعلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية.

بنية الموروث الثقافي في الحياة الشعبية: (نطاق الأكلات الشعبية أنموذجا)

لا شك أن السياحة هي صناعة ديناميكية متطورة، يتعين فيها على الشركات التجارية أن تتكيف باستمرار لتلبية الاحتياجات المتغيرة للمستهلك أو السائح، مما أصبحت الركن الأساسي للتنمية الإقتصادية والثقافية للبلد، فأصبحت موضوعا خصبا لدراسات الأدبية، الاجتماعية، الأنثروبولوجية وغيرها من الموضوعات العديدة التي تؤخذ شكلا ومفهوما، باعتبارها ثقافة وموروث ووفقا لرؤية معرفية ومنهجية خاصة، وقد أنتجت هذه الضوابط المعرفية تعريفات مختلفة لهذا المفهوم، كثقافة السلوك، ثقافة التربية، ثقافة المجتمع...، لتعتبر الثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوجية ذلك التراث الإجتماعي الذي ينتج عن الممارسات الإنسانية وما يخلفه من تراكمات في العادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم، بمعنى أن له أنماط معينة من سلوك والتنظيم الداخلي لحياته، ومن ثم التفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في تداولها، والتي تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي والثقافي والديني. هذه العناصر الثقافية التي تتمحور حول العادات المتوارثة واللغة المشتركة وغيرها من الأدوات التي صنعها الإنسان في حياته، تعطي إنقسامين أساسيين للثقافة، قسم مادي والآخر لامادي.

يقتصر حديثنا في هذا الصدد عن أساسيات الثقافة المادية ودورها في السلوك الفردي والإجتماعي، وهو التعريف الذي يدلي به 'أوجبرن ونيمكوف' الذي يرى أن الثقافة المادية بأنها "تشمل كل ما صنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العقل البشري من أشياء ملموسة مثل الآلات والأسلحة، والأثاث والسيارات والمجوهرات والبناء، ومصارف الري والمحاصيل الزراعية والطرق، أي ما هو مادي فيزيقي واستخدمه الإنسان[١٥]"، هذا التعريف يحيلنا إلى التوسعة في نطاق التداخل المعرفي للإطلاح المفاهيمي للثقافة المادية، فنجد في سياق آخر أن "الثقافة المادية منها المأكولات الشعبية والأزياء الشعبية والعمارة والألعاب الشعبية والوازم الطب الشعبي والتطريز والحرف الشعبية البسيطة وما إليها[١٦]".

والحديث عن بنية الموروث الثقافي في الحياة الشعبية عند الإنسان، هو من دون شك الحديث عن مصطلح الشعبية الذي يعد صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولا وممارسة وسلوكا ومختلف التصورات للحياة وللأشياء، هذا المفهوم هو موجه للاستهلاك الشعبي سواء كان ماديا أو معنويا. وعلى غرار الممارسات العلاجية الشعبية والسياحة العلاجية التي تضمن السلامة والراحة النفسية والإجتماعية للفرد، نجد في خضم هذا نشاط مادي متداول في الحياة اليومية نظرا لعراقته في الثقافة المحلية والشعبية، وهو الأكل التقليدي المحلي ودوره في تأصيل الثقافة الشعبية.

ولو أن من شيم الضيافة في الجزائر وربوعها هو من دون شك التعريف بالأكل التقليدي المحلي لما يمتاز بجمالية التحضير والممارسة من منطقة إلى أخرى ومن بيئة إلى أخرى، وقد يحلو لزائر أو السائح اليوم تناول طبق تقليدي ذي طابع جزائري خالص يتكون من منتجات محلية محظرة بمعايير محلية، هذه العادات الإجتماعية تتميز بالانتشار الواسع داخل المجتمع، مما تنتج عن التكرار والتنقل من جيل إلى آخر عن طريق التنشئة الاجتماعية، كما يعتبر الأكل التقليدي من أهم الخدمات التي يختص بها القائمون على النشاط السياحي وخاصة التسويق الفندقي وذلك من أجل تحسين جودة الوجبات الفندقية التي تليق بمستوى الفندق أو المطعم، بينما أصبحت الأكلات المتقدمة هي الأكلات الشعبية الرسمية التي

تقدم للضيوف وفي المناسبات، وهناك أكلات شعبية كثيرة يتناولها الناس في بيوتهم في حياتهم العادية، كما أصبح الأكل الشعبي مدلولا آخرا في مجال الخدمة السياحية كالمطاعم والفندقة التي تهتم بالسياحة الغذائية مثلا في التعريف بعادات والتقاليد المتوارثة، مع إبراز الدور الاقتصاد الذي قد تحققه هذه المنتوجات أو الوصفات المحلية.

ويشترك الجزائريون في منحهم طبق 'الكسكس' المكانة الأساسية في موائد أفراحهم وأحزانهم وفي شتى المناسبات، بينما يختلف تحضيره من منطقة إلى أخرى، وذلك ما يمنح الطبق تراثا ثقافيا يفيد بمدى إطلاع الأجداد في مجال تحقيق القيمة الغذائية من خلال توظيف المواد الغذائية الصحية، بينما تستدل الأستاذة 'ليلى بن عطا الله' "بتجربة تحضير كسكسي بدون غلوتين لصالح المرضى الذين يعانون مشاكل في الأمعاء الدقيقة، وتفيد الأعشاب البرية والمحلية التي تضاف لمرق الكسكسي ولا سيما في فصل الشتاء، حيث تؤكد السيدة مريم البارعة في إعداد الكسكسي، أنّ الأخير يمكّن المرأة النافس من استعادة قدراتها وعافيتها بسرعة، مثلما تخفف الأعشاب من حدة التوابل المستعملة، فضلا عن تحقيقها لمطلب الذوق والبنة[١٧]" ليعتبر هوية ورمز ثقافي للمنطقة.

ومن التحضيرات الشعبية في الجزائر نجد الطبخ التقليدي في منطقة الغرب، 'كالبركوكس' الذي يكون عادة مناسباتيا كالأفراح ونفاس المرأة، وحتى في الحياة اليومية، كما نجد تواجد موروث ثقافي متنوع في منطقة الزيبان وهي أكلة ' الدوبارة البسكرية' وهي من أشهر الأكلات في الجزائر وهي منتشره بالأكثر بولاية بسكرة ولها أنواع متعددة، كما تعد أكلة الدوبارة من الأكلات الجزائرية الشتوية، حيث يكون الإكثار منها وفي إعدادها خصوصا في فصل الشتاء بصفة خاصة.

أما أكلة 'الزفيطي'، فهي من المأكولات التي تشتهر بها ولاية المسيلة وبعض من مناطق ولاية الجلفة، لتعتبر الأكلة الأكثر شعبية في منطقة بوسعادة، بينما يعد طبق تقليدي يتناوله السكان كأحد رموز المأكولات الشعبية وكوجبة تقليدية كاملة في الأيام العادية وطوال السنة، كما نجد أكلة 'الرفيس' وهي متعدد الصنع والممارسة في مناطق متعددة عبر ولايات الوطن، وهنا تكمن طريقة تحضيره التقليدية من بيت إلى آخر ومن مكونات محلية وصحية.

وعليه، ترتبط الأكلات التقليدية في أي بلد كان أو أي منطقة من مناطق البلاد، بتاريخ وعراقة سكانه، مما يسمح للفرد من فرض شخصيته وهويته الثقافية ومهاراته الإبداعية من أجل المحافظة على النشاط التقليدي، وتثمين الثقافي المادي لنطاق الأكلات التقليدية الشعبية في الجزائر.

خاتمة:

إنما تم إستخلاصه في سياق هذا البحث، يتمثل بالأساس في ثلة من النتائج والتوصيات التي نجزيها على النحو التالي:

_تحديد مجموعة من التغيرات التابعة للعادات المتوارثة القديمة، لمختلف الممارسات العلاجية التقليدية ذات صبغة شعبية يتداول عليها كل أفراد المجتمع، جراء البيئة الداخلية من ناحيتيين الطبيعية والاجتماعية وحتى الثقافية والاقتصادية، وجملة من التغيرات التي تطرأ على ذلك.

_ ضرورة الأخذ بعين الإعتبار المنظور الحديث في الإهتمام بالسياحة العلاجية أمر يدل على الاهتمام بصحة الفرد عموما.

_ الإهتمام القومي بمقومات البلد من ثروات طبيعية والمناخية البيئية متوفرة ومسخرة لفائدة السائح والمريض.

_ المداومة وتفعيل الإستمرارية والتوسع والتطوير والتنمية على أصول ثابتة ورواسخ عقائدية مشكلة للهوية الثقافية.

_ الحفاظ عل المقومات السياحة العلاجية في الجزائر.

_تحقيق الأنماط المساعدة من خلال تفعيل معايير الجودة الشاملة للخدمات الصحية في إطار سياحة علاجية.

_ التعزيز من توفير مواقع ذات مقومات طبيعية تمثل عصر التطور والرفاهية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمستخدمي الخدمات من كل الفئات المجتمع ومن بينها المجتمع الجزائري.

_ الحفاظ على خصوصية الموروث الشعبي المحلي بما تزخر به الجزائر من أكلات شعبية تقليدية وكذا تسخيرها خدمة لصحة الفرد والمجتمع.

هوامش البحث:

[1]_ علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٤، ص٣٠.

٢_ محمد الجوهري، الدراسة العلمية، للمعتقدات الشعبية، ج١، ط١، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٨١-١٨٢.

٣_ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي، الكليات في الطب، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٢٨٦.

٤_ الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الإصفهاني، موسوعة الطب النبوي، دراسة وتحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، د.ن، د.ب، ٢٠٠٦، ص٢٨٣.

٥_ علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية، المرجع السابق، ص١٢٠.

٦_ بلود عثمان، الطب الشعبي في منطقة تلمسان: مقاربة أنثروبولوجية، أطروحة لنيل شهاد الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، كلية العلوم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥، ص١٧٢.

٧_ بلود عثمان، الطب الشعبي في منطقة تلمسان: مقاربة أنثروبولوجية، المرجع السابق، ص١٧٥.

٨_ حمزة الجبالي، الحجامة ذلك العلاج العجيب، د.ط، دار أسرة ميديا ودار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، الأدرن، ٢٠١٦، ص٣٤.

٩_ محمد عبد المنعم شعيب، إدارة المستشفيات: منظور تطبيقي، الإدارة المعاصرة، خدمات الإسكان، مكافحة العدوى، التدريب والتثقيف الصحي، ج٨، المنهل، د.ب، ٢٠١٤، ص١٠٥.

١٠_ المرجع نفسه، ص١٠٦.

١١_ أدهم وهيب مطر، التسويق الفندقي ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٤، ص٢٠.

١٢_ محمد عبد المنعم شعيب، إدارة المستشفيات: منظور تطبيقي، الإدارة المعاصرة، خدمات الإسكان، مكافحة العدوى، التدريب والتثقيف الصحي، المرجع السابق، ص١١١.

١٣_ المرجع نفسه، ص١١١.

١٤_ المرجع نفسه، ص١١١.

١٥_ بن عمارة محمد، تأثيرات أنماط البيئة في التغيير العادات الاجتماعية الغذائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم اجتماع البيئة، قسم العوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥، ص٨٣.

١٦_ عمر عبد الرحمن الساريسي، الوعي الفولكلوري في الأردن وفلسطين، ط١،مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٣، ص١٣٨.

١٧_ كامل الشيرازي، الكسكسي.. سيد الأطباق التقليدية الجزائرية، تاريخ التقديم: ٠٥ يونيو ٢٠١٩، تاريخ الإستطلاع: ٢٠١٩/١٠/٠١. ينظر إلى الموقع الإلكتروني: https://elaph.com/Web/Reports/2009/7/457499.html

مصادر البحث ومراجعه:

أ_ الكتب:

١_ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد، القرطبي: "الكليات في الطب"، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دون تاريخ).

1_ Abu Al-Walid Muhammad bin Ahmed bin Muhammad Ibn Rushd, Al-Qurtubi: “Colleges in Medicine”, edited by: Ahmad Farid Al-Mazidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, (without history).

٢_ أدهم، وهيب، مطر: "التسويق الفندقي ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة"، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٤.

2_ Adham, Waheeb, and Matar: “Hotel Marketing, Sale and Promotion of Modern Tourist and Hotel Services”, Raslan House for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2014.

٣_ الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، الإصفهاني: "موسوعة الطب النبوي"، دراسة وتحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، (دون دار نشر)، (دون بلد)، ٢٠٠٦.

3_ Al-Hafiz Abi Na`im Ahmad bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq, Al-Isfahani: "The Encyclopedia of Prophetic Medicine", study and investigation: Mustafa Khader Dunums Al-Turki, Edition 1, (without publishing house), (without country), 2006

٤_ حمزة، الجبالي: "الحجامة ذلك العلاج العجيب"، دار أسرة ميديا ودار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، الأدرن، ٢٠١٦.

4_ Hamzah, Al-Jabali: “Hijama that wondrous remedy”, Media Family House and Alam Al-Thaqafa House for Publishing and Distribution, Jordan, 2016

٥_ علي، مكاوي: "الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية"، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٤.

5_ Ali, Makkawi: “Medical Anthropology: Theoretical Studies and Field Research”, House of Knowledge University for Printing, Publishing and Distribution, Egypt, 1994.

٦_ عمر عبد الرحمن، الساريسي: "الوعي الفولكلوري في الأردن وفلسطين"، ط١،مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٣.

6- Omar Abdel-Rahman, Al-Sarisi: “Awareness of Folklore in Jordan and Palestine,” 1st Edition, Academic Book Center, Amman, 2013.

٧_ محمد، الجوهري: "الدراسة العلمية، للمعتقدات الشعبية"، ج١، ط١، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة، ١٩٧٨.

7_ Muhammad, Al-Gohari: “The Academic Study of Popular Beliefs”, Part 1, 1st Edition, Dar Al-Kitab for Distribution, Cairo, 1978.

٨_ محمد عبد المنعم، شعيب: "إدارة المستشفيات: منظور تطبيقي، الإدارة المعاصرة، خدمات الإسكان، مكافحة العدوى، التدريب والتثقيف الصحي"، ج٨، المنهل، (دون بلد)، ٢٠١٤.

8_ Muhammad Abdel Moneim, Shuaib: “Hospital management: an applied perspective, contemporary management, housing services, infection control, health training and education,” C8, Al-Manhal, (without country), 2014.

ب_ الأطروحات الجامعية:

٩_ عثمان، بلود: "الطب الشعبي في منطقة تلمسان: مقاربة أنثروبولوجية"، أطروحة لنيل شهاد الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، كلية العلوم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥.

9_ Othman, Beloud: “Folk Medicine in the Tlemcen Region: An Anthropological Approach”, PhD dissertation in Anthropology, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Tlemcen, Algeria, 2014/2015.

١٠_ محمد، بن عمارة: "تأثيرات أنماط البيئة في التغيير العادات الاجتماعية الغذائية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم اجتماع البيئة، قسم العوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥.

10_ Muhammad, Ben Amara: “The Effects of Environmental Patterns on Changing Social Food Habits”, Thesis submitted for a Ph.D., Science in Environmental Sociology, Department of Social Sciences, Mohamed Khaider University, Biskra, Algeria, 2014/2015.

ج_ المواقع الإلكترونية:

١١_https://elaph.com/Web/Reports/2009/7/457499.html